تاريخ استلام المقال: ٢٠٢٥/١١/٢٤ تاريخ قبول المقال: ٢٠٢٦/٦/٢٠

Human Dimension in Resistance Literature in the Jabal Amel Region

Qader Qaderi*[١], Khadija Abdallah Shehab[٢]
١. Associate Professor of Arabic Language and Literature, Payame Noor University
qaderi@pnu.ac.ir
٢. Professor in the Department of Arabic Language and Literature, Lebanese University, Faculty of Arts and Humanities - Beirut, Lebanon

Abstract
Resistance literature is considered an authentic reflection of the conscience of peoples who have opposed colonialism and tyranny. Jabal Amel represents a distinctive model of this experience, as it has continuously witnessed struggles against occupation and oppression, not only through arms but also through writing and intellectual engagement. This study aims to identify the levels of struggle in Jabal Amel resistance literature by analyzing the human dimension in the works of local writers and poets who expressed their people's suffering and their longing for freedom and dignity. The study adopts a descriptive-analytical approach, based on the analysis of literary texts and historical evidence that reflect the trajectory of intellectual awakening in Jabal Amel from the Ottoman period to the stage of liberation in Lebanon. The findings indicate that the human dimension constitutes the central axis of resistance literature in the Jabal Amel region, as literary texts reflect the suffering of the Arab human being in confronting oppression and occupation, and express the values of freedom and dignity through an authentic artistic spirit. The study also highlights the literary and artistic characteristics of this literature through the use of poetic imagery and expressive language in conveying the human experience of resistance.

Keywords: resistance literature, human dimension, Jabal Amel region, Jabal Amel zajal, freedom, literary imagery

البعد الإنساني في أدب المقاومة في منطقة جبل عامل

قادر قادري*[١]، خديجة عبدالله شهاب[٢]

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة پيام نور، طهران، إيران

qaderi@pnu.ac.ir

٢. أستاذة في قسم اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة اللبنانيّة كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – بيروت، لبنان

الملخص

يُعدّ أدب المقاومة مرآة صادقة لوجدان الشّعوب التي ناهضت الاستعمار والاستبداد، وقد شكّل جبل عامل نموذجًا متميّزًا لهذه التجربة، إذ لم يعرف السكون يومًا في مواجهة الاحتلال والظلم، لا بالسلاح فقط، بل بالقلم والفكر أيضًا. يهدف هذا البحث إلى كشف مستويات النّضال في أدب المقاومة العامليّ، من خلال تحليل البعد الإنساني في نتاج الأدباء والشعراء العامليّين الذين عبّروا عن معاناة شعوبهم وتوقهم إلى الحرية والكرامة. واعتمدت الدّراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ، مستندةً إلى تحليل النّصوص الأدبيّة والشّواهد التّاريخيّة التي عكست مسار النّهوض الفكري في جبل عامل منذ الحقبة العثمانيّة حتى مرحلة التّحرير في لبنان. تشير النتائج إلى أنّ البعد الإنساني يشكّل المحور الأساس في أدب المقاومة في منطقة جبل عامل، إذ عكست النصوص الأدبية معاناة الإنسان العربي في مواجهة الظلم والاحتلال، وعبّرت عن قيم الحرية والكرامة بروح فنية صادقة. كما أبرزت الدراسة الخصائص الأدبية والفنية لهذا الأدب من خلال توظيف الصورة الشعرية واللغة التعبيرية في نقل التجربة الإنسانية للمقاومة.

الكلمات الرئيسة: أدب المقاومة، البعد الإنساني، منطقة جبل عامل، الزجل العاملي، الحرية، الصورة الأدبية.

١. المقدمة

يبدو أنّ أدب المقاومة في جبل عامل لم يكن مجرد نتاجٍ أدبيّ منفصل عن الواقع التاريخي، بل ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحوّلات السياسيّة والفكريّة التي شهدتها المنطقة، خصوصًا في ظلّ الاستبداد الذي مارسه الجزار ثمّ الاحتلال الفرنسيّ. وفي هذا السياق يمكن فهم استمرار الحركة العلميّة والثقافيّة في جبل عامل بوصفها أحد مظاهر الصمود الفكريّ في وجه القمع، إذ لم يمنع هذا الاستبداد العامليّين من مواصلة طلب العلم وتطوير إنتاجهم المعرفيّ، «وإن خبا نوره في بعض الحقبات التي وُصفت بالقاسية، لكنّه كان يعود ناشطًا مزدهرًا» (كاظم مكّي، ١٩٦٣م: ٢٣)، وهو ما يدلّ على أنّ البعد الثقافي كان عنصرًا ثابتًا في بنية المجتمع العاملي رغم الظروف السياسية القاسية.

وعليه، فإنّ هذه المعطيات التاريخيّة لا تُقدَّم بوصفها سردًا مستقلًّا، بل بوصفها سياقًا مُفسِّرًا لنشأة وتطوّر أدب المقاومة في جبل عامل، والذي شكّل انعكاسًا مباشرًا للواقع السياسي والاجتماعي المضطرب. ففي حِقب الهدوء، ولا سيّما في العهود الأولى لهذا الجبل، ظهرت ملامح نهضة علميّة راسخة، ويشير علي عبد المنعم شعيب إلى أنّ «النهضة العلميّة هي نهضة الشهيد الأوّل محمد الجزينيّ العاملي سنة ١٣٨٤م، وما يليه، وفترة الشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي...» (المصدر نفسه: ٢٣)، وهو ما يعكس عمق الجذور التاريخيّة للحركة الفكرية في هذه المنطقة واستمرارها عبر الأجيال.

وقد أسهم هذا الامتداد العلمي في تكوين بيئة ثقافيّة نشطة شملت مراكز متعدّدة مثل جزّين ومشغرة وعيناثا، حيث توسّعت العلوم الدينيّة والفكريّة لتشمل مجالات مختلفة كالحساب والطبّ والهندسة واللغة (آل صفا، د.ت: ٢٧–٢٨)، الأمر الذي أسهم في خلق قاعدة معرفيّة متنوّعة كان لها دور في تشكيل الوعي الثقافي والأدبي لاحقًا. غير أنّ هذه الحركة العلميّة تعرّضت لتراجعات حادّة نتيجة الاضطرابات السياسيّة والاضطهاد، ما أدّى إلى هجرة عدد من العلماء إلى العراق وإيران، وهو ما يعكس حجم التأثير السياسي المباشر على المسار العلمي في جبل عامل.

كما شكّل عهد الجزار مرحلة مفصليّة في هذا السياق، إذ شهدت الحركة العلميّة نكبة تمثّلت في مصادرة المخطوطات وإتلافها، الأمر الذي انعكس على البنية المعرفيّة في جبل عامل (الأمين، ١٩٦١م: ٤٧)، وقد كان لذلك أثر بالغ في إضعاف المؤسسات العلميّة وتفكك بعض مراكزها التقليدية. ومع ذلك، عادت الحياة الثقافيّة لاحقًا مع دخول الإرساليات الأجنبيّة وافتتاح المدارس في صور ومرجعيون وجزّين، ما أسهم في إعادة تنشيط المشهد التعليمي (المصدر نفسه: ٢٠٠–٢٠١)، وهو ما يشير إلى دينامية مستمرة بين التراجع والنهضة في تاريخ المنطقة.

وانطلاقًا من هذا السياق التاريخي والفكري الذي شهد تداخلًا واضحًا بين الاضطراب السياسي والاستمرارية الثقافيّة في جبل عامل، تتبلور إشكاليّة هذا البحث في تتبّع الكيفيّة التي انعكس بها هذا المسار التاريخي المضطرب على تشكّل أدب المقاومة في المنطقة. فبين فترات القمع والاستبداد من جهة، ومحاولات الحفاظ على الحركة العلميّة والثقافيّة من جهة أخرى، نشأ خطاب أدبيّ يحمل في طيّاته أبعادًا إنسانيّة وفكريّة واجتماعيّة عميقة، عبّر من خلالها الأدباء والشعراء العامليّون عن واقعهم ومعاناتهم وتطلّعاتهم.

وعليه، يسعى هذا البحث إلى فهم الكيفيّة التي تحوّل بها هذا الأدب إلى أداة للتعبير عن الوعي الجمعي ومقاومة الظلم، وكيف تجلّت فيه القضايا الإنسانيّة بوصفها انعكاسًا مباشرًا للواقع التاريخي الذي عاشه جبل عامل. كما يطرح البحث سؤالًا محوريًّا يتمثّل في: كيف تفاعل الأدب العامليّ مع التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة ليشكّل خطابًا مقاومًا متعدد الأبعاد؟ وما أبرز تجلّيات البعد الإنساني والفكري في هذا الأدب في لغتَيه الفصحى والعاميّة؟

من هنا، تنفتح أمامنا مستويات متعدّدة للنضال الأدبيّ في جبل عامل، منها النّضال الإنسانيّ والثقافيّ والفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ والقوميّ والحضاريّ، وسيركّز هذا البحث على مستوى أساسيّ هو: المستوى الإنسانيّ، لكشف تجلّيات أدب المقاومة في تجربةٍ فريدةٍ جمعت بين الفكر والسلاح، وبين القلم والكرامة.

وانطلاقًا من ذلك، يهدف هذا البحث إلى كشف مستويات النضال في أدب المقاومة العاملي، ولا سيّما في بُعده الإنساني، وتحليل تجلّيات روح المقاومة في نتاج الأدباء والشعراء العامليين في الفصحى والعاميّة،

وبيان دور البيئة التاريخيّة والسياسيّة في تشكيل هذا الوعي الأدبي المقاوم، مع إبراز العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي والسياسي وكيف تحوّلت الكلمة إلى أداة للنضال والإصلاح، إضافةً إلى توضيح أثر تجربة المقاومة والتحرير في لبنان في تجديد الفكر الأدبي وترسيخ الوعي الإنساني والقومي.

من خلال البحث نحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مستويات النضال الإنساني في أدب المقاومة العاملي؟

٢. ما هي الملامح الإنسانيّة التي تجلّت في أدب المقاومة العامليّ؟

٣. كيف ساهم الأدب المقاوم في توحيد النّضال القومي والاجتماعي وتجسيد تطلعات الإنسان نحو الحرية والكرامة؟

١-١. فرضيات البحث

١. يُفترض أنّ الأدب العاملي، بشقّيه الفصيح والزجل، أسهم في إنتاج خطابٍ مقاوم تتجلّى ملامحه في مستويات التعبير الفني والرمزي، بما يعكس تفاعله مع الاستعمار والاستبداد.

٢. يُحتمل أن يحمل أدب المقاومة العاملي خصائص إنسانيّة واجتماعيّة تتفاوت درجات حضورها بحسب السياقات التاريخيّة والنصوص الأدبيّة، بما يعكس معاناة الجماعات وتطلّعاتها نحو الحرية والكرامة.

٣. يُفترض أنّ الزجل العاملي، بوصفه شكلاً أدبيًّا شعبيًّا، ساهم في تعزيز خطاب المقاومة من خلال آليات تعبير قريبة من الوجدان الشعبي، الأمر الذي أسهم في توسيع دائرة التفاعل مع القضايا القوميّة والاجتماعيّة.

١-٢. خلفية البحث

يمثل أدب المقاومة في جبل عامل موضوعًا ذا أهمية ثقافيّة وتاريخيّة كبيرة، إذ يعكس تفاعل المجتمع مع ظروف الاحتلال والاستبداد عبر العصور، ويسلط الضوء على الأبعاد الإنسانيّة والاجتماعيّة للنضال الأدبي. ومن خلال مراجعة قواعد البيانات العلميّة ومحركات البحث الأكاديميّة، يتبين أن هذا الموضوع لم

يُدرس بشكل متكامل وشامل حتى الآن، ما يضع هذا البحث في خانة الدّراسات الرائدة التي تسعى إلى ملء هذه الفجوة المعرفيّة. على الرغم من ندرة الدّراسات المباشرة حول أدب المقاومة العاملي، فقد عثر الباحثون على عدد منها؛ ذات الصلة بتاريخ جبل عامل ومكانته الثقافيّة والسياسيّة والتي يمكن الاستفادة منها لبناء الإطار التاريخي والاجتماعي للبحث. ومن أبرز هذه الدراسات:

١. جمالي، مريم؛ تاجبخش، قدريه (١٤٠٣هـ). عنوان المقال: تأثير سياسات الدولة العثمانيّة الدّينيّة على علاقات الشّهابيين مع الشّيعة في الشام (دراسة حالة لأسر شيعيّة في جبل عامل، جبل لبنان، بعلبك والبقاع) المجلة: بحوث تاريخيّة إيران وإسلام، ١٤٠٣. يناقش المقال تأثير السياسات الدّينيّة للدولة العثمانيّة على علاقات الشّيعة في مناطق جبل عامل وجبل لبنان وبعلبك والبقاع، موضحًا أن هذه السياسات ساهمت في تثبيت النّفوذ العثماني وفرض سيطرة على العلاقات الاجتماعيّة والمذهبيّة للأسر البارزة، مع التركيز على أثرها في تشكيل الهوية الاجتماعيّة والدّينيّة للسكان.

٢. برومند مهر، دكتور هادي؛ عطائي، عبد الرضا (١٤٤٠هـ)عنوان المقال: المدائح النبويّة في الشّعر العاملي المعاصر.المجلة: الكليّة الإسلاميّة الجامعة، رمضان ١٤٤٠. يعالج البحث دور المدائح النّبويّة في الشّعر المعاصر لجبل عامل، باعتبارها وسيلة لتعزيز الهوية الدّينيّة والاجتماعيّة. يوضح المقال أن هذه المدائح تساعد على تعزيز التّماسك الاجتماعي ونشر القيم الأخلاقيّة والثقافيّة، كما تبرز أهمية الشّعر الفصيح والزجل الشّعبي في نقل هذه القيم وتعزيز الوعي المجتمعي.

٣. نعمتي، سمية؛ بصير، دانيال؛ زرقاني، محمد (١٤٠٤هـ) عنوان المقال: مناسبات علماء جبل عامل والدولة الصّفويّة مع التركيز على آرائ مرحوم كرخي. المجلة: فصليّة علميّة بحثيّة تاريخ الإسلام، النشر الإلكتروني منذ ٢٤ مايو ١٤٠٤. تتناول الدّراسة العلاقة بين علماء جبل عامل والدولة الصّفويّة، مع التركيز على آراء مرحوم كرخي. تشير النتّائج إلى أن هذه العلاقات شملت أبعادًا دينيّة وسياسيّة واجتماعيّة، وأسهمت في تعزيز المقاومة الفكرية والثقافيّة للشيعة في المنطقة. كما أبرزت الدّراسة دور العلماء في توجيه المجتمع المحلي وتعزيز وعيه الديني والسياسي.

وبناءً على ما سبق، تتميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في كونها لا تقتصر على معالجة السياق التاريخي أو السياسي أو الديني لجبل عامل، بل تتخذ من "البعد الإنساني في أدب المقاومة" محورًا رئيسًا

للتحليل، مع التركيز على كيفية تجلّيه داخل النصوص الأدبيّة الفصيحة والزجل العاملي على حدّ سواء، وربط ذلك بالتحولات التاريخيّة والاجتماعيّة التي شكّلت خطاب المقاومة في المنطقة، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة بصورة مباشرة ومتكاملة.

٢. الإطار النظري

٢–١. أدب المقاومة

يُقصد بأدب المقاومة النّصوص الأدبيّة التي تعبّر عن مواجهة الاستبداد والاحتلال والظلم، سواء من خلال الشّعر أو الرواية أو الزجل أو النثر، ويتميّز بقدرته على تجسيد المعاناة الإنسانيّة والتطلعات الاجتماعيّة والسياسيّة للشعوب. ويُعدّ هذا النّوع من الأدب وسيلة فكريّة وثقافيّة للنضال، إذ تتحوّل الكلمة فيه إلى أداة مقاومة قائمة على الوعي والمعرفة، لا على القوة العسكريّة وحدها. ويقوم أدب المقاومة على التزامٍ إنسانيّ واجتماعيّ وثقافيّ يعكس وعي الأديب بواقعه ومسؤوليته تجاه قضايا أمّته، بصرف النظر عن الانتماء العقائدي، حيث يصبح الالتزام موقفًا واعيًا يهدف إلى كشف الواقع والسعي إلى تغييره. ويرتبط هذا الالتزام بأشكال متعددة من الوعي، قد تكون ذات بُعد قيمي أو ديني أو حقوقي، جميعها تصبّ في خدمة الإنسان وكرامته ومقاومة الظلم والاستعمار.

كما أنّ أدب المقاومة لا يتشكّل في لحظة واحدة، بل يتنوّع بحسب السياقات التاريخيّة التي يمرّ بها، إذ يمكن رصد امتداداته في مراحل مختلفة من المواجهة: قبل وقوع الحدث من خلال التنبّه والتحذير واستشراف الواقع، وأثناء المواجهة عبر التعبير المباشر عن الصراع، وبعدها من خلال التوثيق وإعادة قراءة التجربة. وهذا التنوّع يعكس حيوية هذا الأدب وارتباطه الوثيق بالواقع التاريخي. ويُعدّ هذا الأدب في جوهره فعلًا إنسانيًا مستمرًا، إذ يسهم في بناء الوعي الجماعي وتعزيز الإحساس بالعدالة والحرية، ويحوّل التجربة التاريخيّة إلى خطاب ثقافيّ يعيد تشكيل الذاكرة ويغذّي روح الصمود والتغيير. ويُعدّ جبل عامل نموذجًا تطبيقيًا مهمًا لهذا الأدب، نظرًا لتاريخه السياسي والاجتماعي المضطرب وامتلاكه لحركة علميّة وثقافيّة نشطة منذ الحقبات المبكرة، الأمر الذي يتيح دراسة تفاعل الأدب مع الواقع المحلي وبيان كيفية تشكّل خطاب المقاومة فيه عبر الفصحى والزجل الشعبي.

٢-٢. الزّجل العاملي

الزجل نوع شعري شعبي يتميّز بقدرته على التعبير المباشر عن هموم الناس بلغة قريبة من الوجدان العام، ويُعدّ امتدادًا حيًّا لأدب المقاومة، إذ يسهم في نشر الوعي الشعبي وتعزيز التلاحم الاجتماعي والقومي، كما يتيح فهم كيفية توظيف اللغة البسيطة في التعبير عن قضايا الظلم والاستبداد ومقاومة الاحتلال.

٢-٣. أدب المقاومة العاملي بين الإنسان والمجتمع

يشكل أدب المقاومة إطارًا فكريًا وثقافيًا يعكس صراع الإنسان والمجتمع ضد الاستبداد والاحتلال والظلم، ويتجسد ذلك في قدرة الأدب على توثيق المعاناة الإنسانيّة، وتجسيد التطلعات الاجتماعيّة والسياسيّة، وتعزيز الهوية الثقافيّة للأمة. هذا الأدب ليس مجرد كتابة عن الألم أو النّضال، بل هو أداة فاعلة لتّشكيل الوعي الجمعي، وتنمية حس المقاومة في النفوس، وإعادة إنتاج القيم الإنسانيّة والاجتماعيّة في مواجهة القوى الظالمة. ويكتسب جبل عامل أهمية خاصة كنموذج للدّراسة، إذ تشهد هذه المنطقة تاريخًا طويلًا من النّضال والمقاومة، بدءًا من الاحتلال العثماني، مرورًا بالاحتلالات الأجنبيّة المختلفة، وصولًا إلى الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانيّة. وقد انعكست هذه التّجارب في إنتاج أدبي غني، يجمع بين اللغة الفصيحة والزجل الشّعبي، ليشكل مرآة لتجربة الإنسان والمجتمع في سياق المقاومة. إن جبل عامل لم يكن مجرد مسرح للأحداث السياسيّة والاجتماعيّة، بل كان حاضنة للوعي المقاوم الذي أسهم في بلورة قيم الاستقلال والكرامة، وجعل من المقاومة الأدبيّة أداة لتجديد الذات والجماعة.

ويهدف هذا البحث من خلال مدخله التّمهيدي إلى تحديد الأسس التي تقوم عليها دراسة مستويات النّضال في أدب المقاومة العاملي، وذلك عبر ثلاثة محاور رئيسة:

١. تأصيل الصّلة بين الإنسان والمقاومة: دراسة كيفيّة انعكاس التّجربة الفرديّة والجماعيّة في مواجهة الاحتلال على النّصوص الأدبيّة، وتحليل دور الأدب في صوغ القيم الإنسانيّة، وتعزيز قدرة الفرد على الصّمود والمقاومة.

٢. تمهيد لفهم المستوى الاجتماعي: تحليل أثر المقاومة الأدبيّة على البنية الاجتماعيّة، وتوضيح كيف يسهم الأدب في إعادة تشكيل الوعي الجماعي، ونشر القيم الثقافية والوطنية بين أفراد المجتمع، ودعم التلاحم الاجتماعي والسياسي.

٣. تسليط الضوء على أدوات المقاومة الأدبيّة: من الفصاحة إلى الزّجل الشعبي، ودورهما في التعبير عن هموم الناس اليومية، ونقل التجارب الإنسانيّة، وتعزيز التّضامن الشّعبي في مواجهة الاحتلال والظلم، بما يجعل من الكلمة وسيلة فعّالة في بناء المقاومة إلى جانب البندقيّة.

من خلال هذا الإطار التّمهيدي، يصبح من الممكن الانتقال بسلاسة إلى دراسة المستوى الإنساني في أدب المقاومة العاملي والذي يمثل نقطة البداية لفهم البعد النّفسي والوجداني للفرد المقاوم، قبل التوسع في المستوى الاجتماعي الذي يعكس أثر هذه المقاومة على المجتمع وهُويته الثقافيّة والسياسيّة.

٣. المستوى الإنسانيّ في أدب المقاومة العامليّ

عند مقاربة الأدب العربيّ بوصفه مجالًا معرفيًّا وفنّيًّا، يبرز بجلاء الجانبُ النّضاليّ كأحد مقوّماته المهمّة. فلا أدب يظلُّ محتفظًا بسمته الحيويّة إن غاب عنه عنصر المقاومة والنّضال؛ ذلك أنّ هذه الصِّفة تُشكّل إحدى دعائم قوّته ومناعته الفكريّة. الأدب في هذا الإطار يقاوم عوامل الانكسار والضّعف والانحطاط، ويستمدُّ من فكرة الصّراع بين الإنسان والكون طاقته للبقاء والتّجدّد؛ إذ يسجّل الواقع ويكشف شظاياه، فتتحوّل الكتابة إلى ساحةٍ تُجلى فيها حركات التّغيير في المجتمع العربيّ وخارجه، كما لو أنّها تحيط بحياتنا كإحاطة السِوار بالمعصم. وعندما يرتبط الأدب صراحةً بصفة المقاومة، يتعاظم دوره بوصفه مولّدًا للصّراع داخل النّفس الإنسانيّة – «توليد الصّراع في نفس الإنسان إذا خلت منه، وتجديد حسّ المقاومة إذا كان هذا الحسّ قد خبا مع الأيام» (شكري، د.ت: ١٦). بهذا المعنى يصبح الأدب أقوى قدرةً على التحدّي والصمود، لأنّه لا يقتصر على التوثيق فحسب، بل ينهض بوظيفة تنبيهية وتعبوية تُحيي في الأفراد والجموع حسّ المقاومة.

على مستوى جبل عامل، تبرز أبعاد هذا المستوى الإنسانيّ بوضوح متأثرةً بمسار الأحداث التّاريخيّة: فقد عاش أهل المنطقة حقبًا مأساويّة تحت الاحتلال العثماني (١٢٩٩-١٩٢٣)، ثم خضعت البلاد لاحقًا لاحتلالات أجنبيّة متنوّعة (بريطانيّة، إيطاليّة، ألمانيّة، فرنسيّة) أدّت إلى تجزئة الصّلاحيّات وانبثاق أنظمة طائفيّة مناطقيّة، ما أثّر عميقًا في النّسيج الاجتماعيّ وولّد معاناة مستمرة لدى السّكان. هذا الواقع

السياسي والاجتماعي مثّل مادّةً أوليةً لخطابٍ أدبيّ مقاومٍ صارخٍ وجارحٍ، لا يجمّل الوقائع بل يصوغها من قلب المعاناة، فيحمل الشّجن والحزن الناتجين عن انسحاق الشّعوب وامتهان الكرامة. وقد استعان بها الشّاعر "وهيب عجمي" ليعبّر من خلالها عن ثورته النّفسيّة والشّعريّة، فقد سبر أغوار الحياة، تغلغل في بطونها، وحاول النّفاذ إلى أسرارها المستغلقة، فتشبّع وجدانه من الحدث، وتجلى في نفسه، وفي عقله تأملات مشرقة أفاضت علينا بنور الإمام القائد، فقال:

شَمْسُ الشَهَادَةِ بِالإِمَامِ تَجَسَّدَتْ أَنْوَارُهَا تَمْحُو دُجَى المتَوَهِّمِ
فَجْرُ الحَقِيقَةِ بَازِغٌ بِحُسَيْنِهِ فَاكتبْ نشيدَ الفجرِ وأصدحْ يا فمِي
أَنْتَ الحُسَيْنُ عَلَى جَوَادِكَ شَاهِرٌ سَيْفَاً بِوَجْه الظّالِمِ المسْتَزِلِم
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ فِي القِتَالِ فَضِيلَةً إِلَّا وَسَيْفُكَ بَاطِشٌ بِالمجْرِمِ
بِكَ ثَوْرَةٌ يَكْوِي الطُغَاةُ لهَيْبُهَا وَعَدُوّهَا مِنْ نَارِهَا لَمْ يَسْلَمِ
هِي ثَوْرَةُ الأَحْرَارِ وابْنُ المصْطَفَى وَالنَصْرُ مِنْ رَبِّ السَمَاءِ الأَعْظَمِ

(عجمي، ٢٠١١م: ٤٠-٤٣)

تجلّت ذاكرة الأدب العامليّ أيضًا في ردود أفعالٍ تاريخيّة محدّدة: فبعد نكبة فلسطين (١٩٤٨م) وانغماس النكبات اللاحقة، أخذ الأديب العامليّ والعربيّ في نسج قصصٍ وشعرٍ ينبع من صميم الألم، متّشحًا بروح الثّورة على واقعٍ متخاذل. لم يكن ذلك أسلوبًا زخرفيًّا بل تعبئةً وجدانيّةً تهدف إلى استثارة طاقات الجماعة لاستعادة الأرض والكرامة. ومثالٌ حديث على ذلك اجتياح ١٩٨٢م للأراضي اللبنانيّة، الذي أعاد الجماعة العامليّة واللبنانيّة إلى نقطة الصفر النّضاليّ ودفعها إلى إعادة إنتاج ثقافة مقاومةٍ جديدةٍ تنطلق من الفكر والوجدان وتترجَم فعلًا ميدانيًّا بإجراءات نوعيّة ضدّ العدوّ، وقد قال الشّاعر الجنوبي مرتضى شرارة: (قصيدة لم تنتشر، بعنوان قوافٍ مقاومة):

قاتلتمُ صهيونَ لكنْ في الحِمى صهيونُ آخرَ يستحقُ قِتالا
سرطانُ يقبعُ في ثنايا عيشِكم لا بد أنْ تُجروا له استئصالا
هي نعمة إذْ لم يكونوا بينكم فهمُ خَبالٌ يستقلُّ خبالا
حسدٌ تلظّى في عميقِ نفوسِهم لو كان في جبلٍ أصمّ لزالا!
من حقل حقدٍ قد جنَوْا ثمرًا وقد ملأوا به للمجرمينَ سِلالا!

(شرارة، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

في الإطار الوجدانيّ، يحتلّ الجنوب مكانةً قدسيّةً في وعي أهله: قدسيةٌ لا تقتصر على رمزٍ جغرافيّ، بل تتجلّى في إيمان الإنسان بحرّيته وكرامته واستعداده للتضحية، إذ تصبح الحياة مع الخطر نوعًا من الاندماج والذّوبان في مقاومة دائمة. وقد عرّف ذلك حسين جمعة أنّه إرادة قويّة في «ساحة صامدة» قادرة على محو أيّ شعور بالضّعف أو الجبن (جمعة، ٢٠١٤م: ٨٥)، ويتابع الشّاعر مرتضى شرارة في قصيدة لم تنتشر أيضًا بعنوان (اللغة العنيدة) ؛ فيقول:

مزجوا تفاصيلَ الحياة بنكهة النّصر الفريدة

ورمّموا تاج الكرامة

بل أعادوا صنعه بدم الإباءِ

وأنطقوا اللغة العنيدة

(شرارة، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

يتجاوز المستوى الإنسانيّ في أدب المقاومة العامليّ مجرد التوثيق الفرديّ للآلام والمعاناة، ليصبح حقلًا تعبيريًا شاملًا يضمّ: (١) تسجيلًا صادقًا للجرح الجماعيّ، (٢) صناعة وجدانيّة تحفّز على المقاومة، و(٣) بلورة قيم أخلاقيّة وإنسانيّة تعيد تشكيل هويّة الفرد والجماعة في مواجهة الاحتلال والظلم. في هذا الإطار، يتحوّل الأدب إلى أداة فاعلة لتجذير الوعي المقاوم وتحفيز الأفراد على المشاركة في مسارات التّغيير الاجتماعي والسياسي.وفي هذا السّياق يقول الشّاعر العاملي جوزيف عقل عون؛ في قصيدة باللهجة المحكيّة لم تُنشر بعنوان (عماد مغنيّة):

اغتالوا البطل عماد مغنية رمز الكرامة والبطولية

فكرن بموتو قائد الأحرار بيرضخ جنوبي للعبودية

....

جهّال ما عرفوا النبع فوّار ومقاومين بيضخ يومية

ولما السيد يندهُ[١] الثوار بتصير كل ضيعة بازورية[٢]

(عون، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

تتجلّى القداسة في الأرض التي يحتلها الإنسان ويعشقها، إذ يتعلّم من هذه العلاقة معاني البساطة والبذل والعطاء. وقد حرص الأديب العاملي على أن تمتد هذه القيم على امتداد الوطن العربي الذي عانى تجارب مشتركة في مرَاحل مختلفة؛ من الجزائر وثورة المليون شهيد مع جميلة بو حيرد، إلى مصر تحت حكم جمال عبد النّاصر، وسوريا في زمن حافظ الأسد، وصولًا إلى فلسطين التي ظلّت رمزًا للمعاناة والنّضال عبر أعمال أدبية لأدباء مثل غسان كنفاني، فدوى طوقان، محمود درويش، وسميح القاسم. تمثّل قداسة الأرض هنا في حمل هذا الجيل للهمّ القومي والعربي على حساب الهمّ الاجتماعي، مستمرةً في ثقافة النّضال على مدى عقود. وهنا يقدم الشّاعر مرتضى شرارة في قصيدة لم تنتشر باسم: (يا قديسة الدّنيا) نظرته ورؤيته إلى فلسطين الأرض، فيقول:

يَا قُدْسُ عَفْوَكِ فِي مَنْفَاكِ يَا قُدْسُ إنْ طَالَ لَيْلُكِ أَوْ غَابَتْ لنا شَمْسُ
شُدِّي جِرَاحَكِ يَا قِدِّيسَةَ الدُنيَا أَنْتِ العَرُوسُ وأنتِ النَّصْرُ والعُرْسُ
واسْتَبْشِرِي يَا فِلَسْطِينُ فَعَوْدَتُنا فَجْرٌ، وَفِيه يَزُولُ الذُّلُ والبُؤْسُ
نَحْنُ انْطلَقْنا بِزَحْفٍ والشَّعَارُ لَنا إمَّا الشّهَادَة، أَوْ أنْ تَرْجِعْ القُدْسُ

(شرارة، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

إدراك المحتل أهمية الثقافة فجعلها أداةً داعمة للمقاومة المسلحة، بينما يسعى الأديب ليكون معلّمًا ينمي الوعي السياسي والاجتماعي لدى أبناء وطنه، ويجهزهم ليكونوا قادرين على دعم المقاومة بكل من القوة الماديّة والقلميّة، وبناء صروح الكرامة والإباء، وتسهيل استعادة الأرض المحتلة. في المستوى الإنساني، وفي قصيدة "أنين"، (قصيدة لم تنتشر) يوظف مرتضى شرارة الشّاعر العاملي الحواس في ثورة جماعيّة، تنتفض على الواقع، يحرّض الجماهير على التحرّك في نواحي الحياة كاملة، فيقول:

اسْمَعِ الْقُدَسَ بِعَيْنَيكَ

[١]– وهي تعني في اللغة العربيّة الفصحى ينادي. يندهُ– ينادي

[٢]– وهذه القرية في جنوب لبنان مسقط رأس السيد حسن نصرالله رحمه الله

سترَى أنَّ في القُدْسِ أنِيْنَاً يَتَعَدّى كلَّ تَاريخِ الأنِينِ.
وأشَاحَ الوجُهُ عن أيّ رَضيعٍ
يَتَغّذَى بِحَلِيبِ الذُّعْرِ
في فِلسْطيَنَ
لم يَأبَه بِصُراخِ المِنْبَرِ الْمخطُوفِ
يَتَحرَّى كلَّ زِنْدٍ رَاحَ يَحْضُنُ بُنْدِقية
كامنٍ عِنْدَ الحُدُودِ
ليْسَ يَعْشَقُ مِنْ فَتَاةٍ
غَيْرَ هَاتِيكَ القَضِيَةِ
إنُّه الشَيْطَانُ
لكن بِثِيَابِ السَّاجِدِينَ!!

(شرارة، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

يعي أهل جبل عامل هذه الحقيقة جيدًا، ويتعاملون مع العدو على أساسها، مستعدّين لتحمّل القتل، الترويع، التشرد، والفزع في سبيل البقاء والتشبّث بالأرض، إذ إنّ التخلّي عنها يعني الموت أو فقدان الفرصة للولادة من جديد، كما ترتبط الأرض برمز الأمومة والحياة، لتصبح مسرحًا للمقاومة والتجدد. ويصوّر النّص السّردي هذه العلاقة، مبينًا سعي العدو لهدم إرادة الإنسان ومنعه من الاستقرار، على أمل إجباره على الرحيل وترك الأرض.

في فلسطين القضية، والوطن الأكثر وجعًا، يُمنع الحلم على الإنسان فيها، فلا يكفي أنّهم سرقوا الأرض والحياة، بل إنّهم وصلوا إلى الأحلام أيضاً، ليمنعوها على المحرومين وفي هذا يقول الشّاعر جوزيف عون في قصيدته (بيت الفلسطيني):

بَيْتِي بَنَيْتُوُ مِنْ شَرَايِينِي عْتَابُو كِتَافِي حِجَارتُو سِنِيني
سَلَبُوه مِنّي زُمْرِة الحَاحَامْ وَقَطفُوا العَرِيشي وَحوَّشُوا التِينِي

وَشرَّدُوني لا خِبْز لاَ حِرَامْ ويتَمُوني مِنْ محبّيني
لاَ بَيّ يطْعَمني قَبلْ ما نَام وَلاَ أمّ تا أدْفى تَعْطيني
وقالُوا إلي مَمْنُوع بِالأحلام تِرْجَع عَلَى البَيْت الفَلسْطيني
ولما ضَمير الشّرقْ ضِدّي قَامْ وْصفّى ضَمير الغَربْ نَاسِيني
قَاوَمِتْ بِالْمقِلاْع بالقَسَّام وقْلتلهُن إنّي إبِنْ دِيني

(عون، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

إذاً في ظلّ هذا الوضع لا عجب أن يحمل الشّاعر ثورته إلى أقاصي العالم، ويترك بذرتها في الجيل الصّاعد، ليعرف المعاناة التي عاشها أهله. في هذا السياق، تُعدّ المقاومة العسكرية وجهًا من وجوه المقاومة ومستوى من مستوياتها (زيتون، ٢٠١١م: ٧٨)، وقد نجح النّموذج اللبناني في حسم الصِّراع لصالحه، متحكمًا بزمنه ومكانه والأسلوب المناسب للرد. تغيّرت معادلات المواجهة، وأمسك المقاومون بزمام المبادرة، وتابع الأدباء خطاهم؛ فكل فعل أدبي مقاوم يأخذ بقدر ما يعطي ويتشكل بالفعل الآخر (المصدر نفسه، ص٩٠). تشرق الحرية من جبين المقاوم الشّهيد، ومن ذاكرة الجرحى، ومن النساء اللواتي ينهضن بأعباء الأرض، ومن أقلام الطلاب والنشء المستعد للنهج المقاوم، لتنتج بذلك عمليّة ثقافيّة واجتماعيّة متكاملة تدعم التحرير والكرامة.

في المقابل يسمعنا الشّاعر وهيب عجمي صوته الصّاخب الهادر، وعنفوانه الذي يسير على خطى العزم والقوة، ويحثنا على الثّورة والانتفاض، لأجل الذود عن الأرض، في قصيدة أهداها إلى روح الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر.

قمْ أَيْقِظْ العَرَبَ النِّيَامُ وهُزَّهُم فَدمُ العُرُوبَةِ خَامِلٌ مِكْسَالُ
هَذِي فِلَسْطِينُ التِّي أَحْبَبْتَهَا فِي صَدْرِهَا بَيْن الرِّمَاحِ وِصَالُ
ذُبِحَتْ فِلَسْطِينُ بِسَيْفِ عَدُوِّهَا وَالِمسْخُ فَوْقَ جَبِينَهَا يَخْتَالُ
نَزَفَتْ عَلَى مَرْأى الجُيُوشِ دِمَاؤُهَا وَتَقَطّعَتْ فِي جِسْمِهَا الأوْصَالُ

(عجمي، ٢٠١١م: ٢٨)

بهذا الشكل، يؤدي أدب المقاومة دورًا ثوريًا متكاملاً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثّقافي، إذ يبدع الأدب بلغته وأسلوبه، كما يبدع المقاوم في بندقيته؛ فالأديب يصبح عاملًا من عوامل الثّورة، لكنه يعمل بالقلم (أدونيس، ١٩٧٨م: ١١٦)، مصوّرًا تلاحم الإنسان مع الأرض وتجسيد المقاومة في حياة المجتمع.

يستشرف الشاعر مرتضى شرارة في قصيدة لم تنتشر بعنوان: (ولّى زمن الهزائم) بحدسه، وبرؤاه المستقبل الذي يجب أن يكون، فيثير فينا كوامن أنفسنا، وما تختزن من مشاعر تجاه المقاومين، الذّين غيّروا الحياة، وقلبوها رأسًا على عقب، وأكّدوا أنّ ما كان سائدًا في زمن مضى، لم يعد مقبولًا الآن، وقد انتقل بالفعل من الزمن الماضي، إلى زمن الحاضر، فالمستقبل، حيث سيكون أكثر إشعاعًا، لأنّنا حسب تعبيره:

هِيَ النَّصْرُ ثراً مِنْ سِحَابِ العَمَائِمِ لَعَمْرُك قَدْ وَلّى زَمَانُ الهَزَائِمِ
وَخَابَ الذّين هَرْوَلُوا خَلْفَ وَهْمِهِم وَظَنّوا يَهُودَ الغَدْرِ بَعْض الحَمائم
سَنَبْقى شُمُوساً في سَمَاءِ الهُدَى وَلَنْ نَكُونَ صَدِيداً من حَشا أيّ وارِم
بِلُبْنَانَ نَزْهُو بالجُنُوبِ وأهْلِه لآلاَمِنَا الكُبْرى هُمْ خَيْرُ بَلْسِمِ

(شرارة، قصيدة غير منشورة، مخطوطة بحوزة الباحث)

تحمل القصيدة الكثير من الرّموز، وفي مكان آخر منها، نعثر على (الجذوة، نجوم، مطايا، العرين، زئير، حمام)، فكلّ مفردة تشير إلى حالة نفسيّة أو إنسانيّة يتجلل بها المقاومون لأجل أن يصلوا إلى هدفهم المنشود. خرج أدباء هذه المرحلة من زمن الهزائم إلى زمن التّحرير والانتصار، فحَوَّلوا تجربتهم الشّعوريّة والتّاريخيّة إلى عملٍ ثقافيٍّ يهدف إلى تشكيل الوجدان الجماعي. إذ إنّ التحول الاجتماعيّ والسياسيّ الذي رافق مسارات التحرر انعكس مباشرة على خطابهم الأدبيّ، حتى صار الأديب «قادرًا على أن يجسّد هذا الواقع ويحاكيه بتغيراته أدبيًّا» (زراقط، ٢٠١٤م: جلسة ١٩-٥)، فأثمر ذلك أعمالًا نابضة بالإحساس الوطنيّ والقوميّ.

إنّ النزوع إلى الحرية لدى الأجناس الحرة من المجتمع يجعلهم يرفضون القيود والسّلاسل، لأنّ الحريّة لديهم قيمة شخصيّة تتوسّع لتصبح منفعةً جماعيّةً ووطنيّةً. ومن هنا يظهر الوعي بمفهوم الحرية والمقاومة كمدخل رئيس لكل أدب معنيّ بقضايا الإنسان الاجتماعيّة، وخصوصًا أدب الدّفاع عن «الذات الجمعيّة» في مواجهة «الآخر العدوانيّ» (نجم، ٢٠١٠م: مدوّنة واحة الأرواح، قراءة ٢٣).

يُعدّ أدب المقاومة أرضًا جديدةً لم تخضها معظم التّجارب العربيّة باستثناء التّجربة الفلسطينيّة، وما تزال ميدانًا رحبًا لاستكشافه؛ فعلى الرّغم من وجود روايات وقصص لبنانية تناولت مقاومة الاحتلال، فإنّ نقل

التجربة بأبعادها كافّة يبقى مشروعًا مفتوحًا يمكن أن يسهم في إعادة تشكيل الوعي المجتمعيّ وإعادة بناء قيمة الأرض والدّفاع عنها (فوزي: ٢٠١٤: جريدة المصري اليوم٢٠١٤/١٧٥).

أحد عوامل نجاح المقاومة اللبنانية يكمن في استمرار «الثقافة المقاومة» التي هيأت مناخًا وطنيًا داعمًا ومواظبًا على التجدد. هذه الثقافة تترسّخ في العمل اليوميّ للأفراد، في استعدادهم لإزالة المحتلّ وبناء المستقبل، وتمدّ علاقاتٍ متينةً بين أبناء الوطن تُهيّئ الجميع للمواجهة، فتعزّز اليقظة والوعي والسعي للقوّة والحرية، لدرجة أن أسماء المواليد قد تُستلهم من واقع المقاومة ذاتها.

من خلال مقاربة إنتاج أدباء يلتزمون بمقاومة أشكال العنف المختلفة، يتّضح أنّ إنتاجهم يركّز على البعد الإنسانيّ في الدرجة الأولى، متناولين الحالة الإنسانيّة من منظور قوميّ واجتماعيّ، ناقلين حركةَ المناضلين والمشاركين في الصّراع إلى المتلقي بصورٍ تقبض على التّعاطف والهمّ المشترك. فالانطواء على البعد الإنسانيّ يمكّن الأدب من أن يصل إلى القارئ بصرف النّظر عن لغة التخاطب، لأنّ «الإحساس بالوجع» لغةٌ بحدّ ذاتها تفوق حدود الكلمات.

تَنطوي حكاية المقاومة على مفاهيم متعددة لكنها تتلاقى في صلبها: الجهاد والتحرّر ورفع الضرّ عن الأمة. أبطال هذه الحكاية يتناوبون السرد وأدوار البطولة حتى يكتمل المشهد، فيصبح المتلقّي ممرودًا أمام أعماق المعاناة والبطولة، وقد يطوي في خياله دورًا من أدوار البطولة ذاتها. بهذا المعنى، يتحقق دور الأدب المقاوم عندما يتحوّل خطابُه إلى منظومة قيمية تبثّ في المجتمع رؤيةً متكاملةً عن المقاومة كأسلوبِ حياة، لا كحالةٍ استثنائية.

٣-١. المستوى الاجتماعيّ في أدب المقاومة العامليّ

يشكّل المستوى الاجتماعيّ في أدب المقاومة العامليّ امتدادًا طبيعيًّا للمستوى الإنسانيّ، إذ يركز على التحوّل الجذري في البنية الاجتماعيّة، ويحوّل المقاومة من فعل فرديّ إلى رؤية شاملة للحياة والمجتمع (شكري، د.ت: ٣٨٥). فالأدب المقاوم لا يقتصر على التّعبير عن الألم الفردي والجماعي فحسب، بل يسعى إلى إعادة تشكيل وعي المجتمع بأكمله، من خلال ربط القضايا اليوميّة بالبعد الوطني والقومي، وصياغة خطاب ثقافي يعزز من تماسك الجماعة وتماسك الهوية في مواجهة الاحتلال والاستبداد. يتضح ذلك من خلال ثلاثة محاور أساسية:

٣-١-١. مقاومة الاحتلال والغزو الخارجي

تتجلى المقاومة الاجتماعيّة في التصدي للغزو الخارجي، سواء أكان الاحتلال العسكري أو النّفوذ السياسي والثقافي. فقد أظهرت التّجارب التّاريخيّة في لبنان أنّ الأدب المقاوم يعمل جنبًا إلى جنب مع المقاومة العسكرية، فهو يواكب الأحداث، ويسلّط الضوء على معاناة الناس، ويقدّم سردًا حيويًا لتضحيات المقاومين (زيتون، ٢٠١٣م: ٨٧). الأدب في هذا السّياق لا يكتفي بتوثيق المقاومة، بل يشارك في صوغ ثقافة شعبية متماسكة، تزرع في نفوس الجماعة شعورًا بالمسؤوليّة تجاه الأرض والوطن، وتحث على المشاركة الفاعلة في الدفاع عن القيم المشتركة.

٣-١-٢. المرأة والأديب المقاوم كفاعل اجتماعي

تبرز المرأة الأديبة المقاوِمة كعنصر فاعل في بناء الوعي الاجتماعي، فهي تتدخل في التّعليم والتربية ونقل الثقافة المقاومة للأجيال الصاعدة. من خلال النصوص الأدبيّة والقصصيّة، يظهر الدور المركزي للمرأة في ترسيخ القيم الوطنيّة، وتنمية الحسّ المقاوم لدى الشّباب، وتحفيز المجتمع على التفاعل مع التجارب التاريخية للاحتلال والدفاع عن الأرض (جمعة، ٢٠١٤م: ١٩٩). هذه التربية المقاومة، وفق الرؤية الأدبية، ليست خيارًا، بل واجبًا مشروعًا، يشكّل أساسًا لنشوء جيل واعٍ قادر على مواجهة التحديات، ومتمسك بحقوقه وكرامته.

٣-١-٣. البعد الدّيني والتّاريخي في المقاومة

يعتمد الأدب الاجتماعي المقاوم على التراث الإسلامي والتاريخي في صياغة خطاب يربط بين الدفاع عن الأرض والهوية الدينية والوطنية. فالالتزام بالقيم الإسلامية، مثل الدفاع عن "الدّين والشّهادة في سبيله، يُعدُّ جزءًا لا يتجزأ من الدعوة إلى المقاومة ضد الظلم والعدوان (ضاهر، ١٩٩٢م: ١٥). التّاريخ يشهد على تراجع العرب في مراحل معينة، والغزو الخارجي، والاحتلال الظالم، لكنه في المقابل يظهر أيضًا دور المواجهة والنّهضة الشّعبيّة التي أعادت الحقوق والكرامة إلى المجتمعات. يستحضر الأدب العاملي هذا التاريخ ليقدّم نموذجًا يُلهم القراء والمجتمع، ويوجههم نحو مواجهة الظلم بالوعي والفعل.

٣-٢. المحطات الزّمنيّة للمقاومة الاجتماعيّة

يمكن تقسيم المقاومة الاجتماعيّة إلى ثلاث محطات زمنيّة متشابكة:

١. المواجهة بالتراث: استلهام التّجارب السّابقة في التاريخ الإسلامي والعربي، لتعزيز الشعور بالحرية والانتصار، وتكوين وعي جماعي قادر على الصمود.

٢. المواجهة بالحاضر: تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي الراهن، وتسليط الضوء على التحديات اليومية التي تواجه الشّعوب العربية، من فساد وظلم واستغلال اقتصادي، مع تعزيز دور الأدب في صياغة ثقافة مقاومة فاعلة.

٣. المواجهة بالمستقبل: تشكيل جيل جديد من المثقفين والمبدعين قادر على الاستفادة من التجارب السابقة، وصياغة مشاريع تحررية وثقافية تعزز الوعي الاجتماعي، وتدعم صمود الجماعة أمام أي احتلال أو تهديد.

٣-٣. الأدب المقاوم كعامل اجتماعي متكامل

يستند الأدب الاجتماعي المقاوم إلى قاعدة مفادها أن المقاومة تبدأ من الفرد وتنتقل إلى الجماعة، فكل نص أدبي يزرع قيمًا ومبادئ، ويعيد تشكيل وعي المجتمع، ويقوي الروابط بين أفراده. فالكتابة تصبح فعلًا اجتماعيًا يوازن بين المعاناة والتّحدي، ويجعل القارئ شريكًا في حركة المقاومة، سواء أكان ذلك شعريًا أو سرديًا، أو عبر الدّراسات الفكريّة والتّاريخيّة. الأدب، في هذا السّياق، هو أداة لتكريس الوحدة، وتعزيز المواجهة، وصياغة رؤية شاملة تعالج القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، بما يجعل المجتمع أكثر استعدادًا للصمود والبقاء على الأرض، وهو بذلك امتداد طبيعي للمقاومة على المستوى الإنساني (رشيد، ٢٠٠٤م: ٩٨).

تستمر الشّعوب العربية، بما فيها لبنان وجبل عامل، في مواجهة الصّدمات النّاتجة عن استغلال الثّروات الطبيعيّة، مثل الثروة النّفطيّة التي أدت إلى زعزعة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، وفرضت على الجماعات البشرية أدوارًا لم تكن مألوفة لها، تشمل الخضوع للجهل والاستغلال والعبوديّة الاقتصاديّة والسياسيّة (م. س.). في هذا السّياق، يؤكد الأدب المقاوم دوره في تحفيز المجتمع على الاستيقاظ من حالة الركود والتقوقع، وتعزيز وعيه بالحرية الفرديّة والجماعيّة، وتهيئة الأجيال القادمة للانخراط في صراعات تحريريّة

مستقبليّة تستند إلى قيادة عربيّة حكيمة، تعرف كيف توظف الطاقات في معارك قومية ناجحة تعيد للأمة كرامتها وحريتها.

٣-٤. دور الشّعراء في صوغ الوعي المقاوم

يجد الشّعراء المقاومون مكانتهم في هذا الإطار، إذ تصبح كلماتهم جزءًا من معركة النّضال، ويعيش القارئ تجربة المشهد المقاوم من خلال نصوصهم، فالكلمة تتحرك جنبًا إلى جنب مع السّلاح، وتسهم في بناء وعاء ثقافي ووجداني يزرع قيم المقاومة في المجتمع (م. س.). الشّعر المقاوم، سواء أكان شعرًا موزونًا مقفى أو زجلًا عاميًا، يحمل أبعادًا إنسانيّة واجتماعيّة وسياسيّة، ويعكس معاناة المجتمع ويثير التّعاطف، ما يجعل المتلقي قريبًا من نبض الحدث، ويمنحه قدرة على المشاركة الذّهنيّة والوجدانيّة في عمليّة المقاومة.

٣-٥. الحداثة الشّعريّة وتجديد الشّكل والمضمون

مع التحولات الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، برز جيل من الشّعراء دعا إلى كسر قيود النظام التقليدي للشعر العربي، ومحاولة استكشاف أشكال جديدة من التّعبير الشّعري (أنيس، ١٩٧٢م: ٣٤١-٣٤٢). هؤلاء الشعراء لم يتخلوا تمامًا عن الوزن والقافية، بل سعوا لتطويرها بما يتيح مزيدًا من الحرية والإبداع، فبعضهم يلتزم بالقوافي بمرونة، وبعضهم ينوع فيها، بينما آخرون يكتبون شعرًا مرسلاً يتيح انسيابية أكبر للتعبير (عباس، ١٩٧٨م: ٢٧).

٣-٦. الشّعر كأداة للتعبير والتأمل

يتضح من هذه التّجارب أنّ الشّعر يمثل انعكاسًا مباشرًا لما يدور في خلد الشّاعر، إذ يتفاعل مع أحداث الواقع ويحوّلها إلى خلق أدبي يجمع بين الشّعور والذوق والفكر (هلال، ١٩٧٣: ٣٨٠). أتاح الشّعر المقاوم الحديث توليد رؤى جديدة ومختلفة، وأصبح أداة فعالة لإيصال القيم الوطنية والقومية، وإعادة صياغة الوعي الاجتماعي والسياسي في المجتمع، بما يعزز من صمود الجماعة وقدرتها على مواجهة التحديات والاستمرار في المقاومة (العيد، ١٩٨٧م: ٢١).

النتائج

يتبيّن من نتائج هذا البحث أنّ أدب المقاومة في جبل عامل يشكّل ظاهرة ثقافية متجذّرة وليست مجرد إنتاج أدبي عابر مرتبط بظرف تاريخي محدّد، بل هو خطاب مستمر يتجدّد بتجدّد الأزمات والتحوّلات السياسية والاجتماعية في المنطقة. وقد أظهرت النتائج أنّ هذا الأدب يتميّز بتركيز واضح على البعد الإنساني، حيث يعكس معاناة الشعوب تحت الاستبداد والاحتلال، ويعبّر عن حالة فقدان الكرامة الإنسانية من خلال خطاب أدبي يغلب عليه الحزن والشجن، كما يسهم في بناء روابط وجدانية مشتركة بين الجماعات المتضرّرة وتحويل التجربة التاريخية إلى وعي جمعي متماسك.

وتشير النتائج كذلك إلى أنّ أدب المقاومة في جبل عامل يقوم على تجربة حيّة نابعة من الواقع، تتّسم بالصدق الفني والحرارة التعبيرية، وهو ما يجعله انعكاسًا مباشرًا للحدث التاريخي وليس مجرد إنتاج جمالي منفصل عنه، الأمر الذي يؤكّد ارتباطه العميق بالسياقين السياسي والاجتماعي، ويعزّز فرضية اندماج الأدب مع الواقع لا انفصاله عنه.

كما بيّنت الدراسة أنّ الزجل العاملي يمثّل أحد أهم روافد خطاب المقاومة، نظراً لقربه من الوجدان الشعبي وقدرته على التعبير المباشر بلغة بسيطة وفعّالة، وقد شهد تطوّرًا من حيث الشكل والمضمون بما جعله قادرًا على مواكبة التحوّلات الأدبية والاجتماعية، الأمر الذي جعله في كثير من السياقات موازياً للشعر الفصيح في التعبير عن قضايا الأمة وهمومها.

وتُظهر النتائج أيضاً أنّ الأدب الفصيح والزجل معًا شكّلا بنية خطابية مقاومة متكاملة، أسهمت في التعبير عن قضايا الوجود الإنساني والظلم الاجتماعي، مع اختلاف في درجات التعبير بين النصوص والشعراء، دون أن يؤثر ذلك على وحدة الهدف العام لهذا الأدب ووظيفته التوعوية والإنسانية.

كما يتضح أنّ العلاقة بين الفعل الأدبي المقاوم والواقع التاريخي علاقة تكاملية، إذ يسهم الخطاب الأدبي في تشكيل الوعي الجمعي وتعزيز قيم الصمود وإعادة إنتاج الأمل بإمكانية التغيير، في حين يغذّي الواقع هذا الخطاب بمادته وتجربته الحيّة.

وأخيرًا، يتبيّن أنّ تجربة المقاومة في لبنان قد أسهمت في إعادة تشكيل الوعي الأدبي والثقافي، حيث تعزّز الارتباط بين النضال الإنساني والاجتماعي والقومي، وأصبح الأدب المقاوم أداةً فعّالة في بناء الذاكرة الجماعية وترسيخ قيم الحرية والكرامة الإنسانية، بما يجعل من الكلمة جزءًا من فعل المقاومة ذاته.

المصادر والمراجع

١. أدونيس (١٩٧٨م). **زمن الشّعر**، الطبعة الثانية، بيروت: دار العودة.

٢. آل صفا، محمد جابر، (د.ت). **تاريخ جبل عامل**، بيروت–لبنان: دار متن اللغة.

٣. الأمين، السيد محسن، (١٩٦١م). **خطط جبل عامل**، بيروت: مطبعة الإنصاف.

٤. أنيس، إبراهيم، (١٩٧٢م). **موسيقى الشعر**، ط٤، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية.

٥. جمعة، حسين، (٢٠١٤م). **ثقافة المقاومة؛ إعادة بناء الذّات العربية**، ط١، دمشق: دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر.

٦. رشيد، فايز، (٢٠٠٤م). **ثقافة المقاومة**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٧. زراقط، عبد المجيد، (٢٠١٤م). **مؤتمر أدب المقاومة ومواجهة الحرب الناعمة**، بيروت: الأونيسكو.

٨. زيتون، علي مهدي، (٢٠١١م). **في مدار النقد الأدبي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي.

٩. ــــــــــــــ (٢٠١٣م). **الشعر كتاب الثقافة**، ط١، بيروت: دار العودة.

١٠. شكري، غالي، (د.ت). **أدب المقاومة**، قاهرة: دار المعارف.

١١. ضاهر، مسعود، (١٩٩٢م). الثقافة المقاومة دراسة في المنهج، **مجلة الآداب**، العدد ٩ – ١٠، أيلول، ت١.

١٢. عباس، إحسان، (١٩٧٨م). **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٣. عجمي، وهيب، (٢٠١١م). **ديوان أعيدوني إلى أمي**، الزهراني: دار لبنان للطباعة والنشر.

١٤. العيد، يمنى، (١٩٨٧م). **في القول الشّعري**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

١٥. فوزي، جيهان، (٢٠١٤م). **أدب المقاومة الفلسطيني ومكانة الأرض في الأدب**، الرابط التالي:
http://www.almasryalyoum.com

١٦. كاظم مكّي، محمد، (١٩٦٣م). **الحركة الفكريّة والأدبية في جبل عامل**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الأندلس.

١٧. محمد غنيمي، هلال، (١٩٧٣م). **النّقد الأدبيّ الحديث**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الثقافة.

١٨. نجم، عبد العزيز، (٢٠١٠م). **مدوّنة واحة الأرواح**، إطلالة على أدب المقاومة.